بسم الله الرحمن الرحيم  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
لا يخفي عليكم ما نعانيه هذه الأيّام من طغيان الظلم  
والمتمثّل في إعدام الشباب الأبرياء يوما بعد يوم  
-  
وأنا أكتب هذا المقالة بمناسبة كلمة "الأبرياء"  
حيث من الممكن أن يقول قائل  
كيف عرفت أنّهم أبرياء ؟  
-  
وللإجابة علي هذا السؤال   
تعالوا نستعرض بعض الأصول  
التي - وللأسف - غابت عن بعضنا  
رغم أنّها في بساطتها لا تحتاج لشرح  
-  
الأصل الاوّل هو أنّ  
"الأصل في الإنسان البراءة"  
-  
فالأصل أنّ فلان برئ  
وإذا أردت أنت أن تثبت أنّه مجرم  
فأنت المطالب بإثبات التهمة  
وليس هو المطالب بنفيها  
-  
إذ انّه في الأصل برئ ولا يحتاج لإثبات هذا الأصل  
-  
وطالما لم تتمكّن أنت من إثبات اتّهامك لهذا الشخص  
يظلّ هذا الشخص بريئا  
إذ أنّ القاعدة اللاحقة للقاعدة الأولي هي أنّ  
"الشئ علي أصله"  
-  
يعني البرئ يظلّ بريئا حتّي تثبت أنت أنّه مجرم  
فإذا ثبتت عليه التهمة تظلّ لصيقة به حتّي يثبت هو براءته  
-  
تقول  
وقد يكونوا مجرمين فعلا  
وهنا نأتي للقاعدة الثانية وهي  
"ما تطرّق إليه الاحتمال - بطل به الاستدلال"  
-  
يعني  
لا يمكن أن تستدلّ بكلمة "قد يكونوا" مجرمين  
هذا احتمال  
ظنّ  
-  
وقد قال تعالي  
إنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئا  
-  
هب أنّ إنسانا توضّأ - هذا يقين  
ثمّ شكّ أنّه قد يكون قد أخرج ريحا مثلا - هذا شكّ  
فنقول له نفس القاعدة ولكن بصيغة أخري  
فنقول  
الشكّ لا ينقض اليقين  
أو نقول  
اليقين ينقضه يقين مثله  
-  
يعني  
طهارتك يقين - ونقض طهارتك شكّ  
فتظلّ علي اليقين الأوّل وهو الطهارة  
إلي أن تتيقّن من نقض طهارتك  
-  
فكما قلنا  
الشئ علي أصله  
فأنت علي أصلك متوضّأ  
-  
قد تقول  
فلتقطع الشكّ باليقين وتتوضّأ ثانية  
-  
نقول  
أنا لست في شكّ أساسا لأقطعه باليقين  
فوضوئي ليس شكّا - بل هو يقين  
فلو توضّأت ثانية فأنت تقطع اليقين باليقين  
وهو مما لا معني له  
-  
انت متوضّأ - وما زلت متوضّئا - فلا تفعل شيئا  
-  
فلا يجوز الاستدلال بمجرّد قولك أنّهم "قد" يكونوا مجرمين  
-  
نأتي للفقرة الثالثة  
تقول  
ولكنّهم اعترفوا  
والاعتراف سيّد الأدلّة  
-  
وهنا نأتي للأصل الثالث الا وهو  
"الإكراه لا يعتدّ به"  
-  
فقد قالوا أنّهم اعترفوا تحت التعذيب  
فشهادتهم علي نفسهم هي شهادة المكره  
وهي مما لا يؤخذ به بل هي والعدم سواء  
-  
حتّي أنّ الكفّار أكرهوا سيّدنا عمّار بن ياسر  
علي سبّ الرسول صلّي الله عليه وسلّم  
فشكا سيّدنا عمّار ذلك إلي الرسول صلّي الله عليه وسلّم  
فقال له الرسول صلّي الله عليه وسلّم  
"إن عادوا فعد"  
يعني لو عذّبوك ثانية - فسبّني ثانية  
-  
وقد قال تعالي  
مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ  
إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ  
وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا  
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ  
-  
وهو صريح في أنّ الإكراه لا يؤخذ به  
-  
نأتي للفقرة الرابعة   
حيث قد يقول البعض  
لا وسيلة لدينا لإجبارهم علي الاعتراف غير التعذيب  
-  
نقول  
هذه مشكلتكم أنتم - وليست مشكلة المتّهمين  
وهو عذر أقبح من ذنب  
-  
هذه مشكلة الضبّاط والمحقّقين  
أن يصلوا للأدلّة الدامغة علي أنّ فلانا مجرم  
-  
وليست مشكلة المجرم  
أنّ الضبّاط والمحقّقين لا يستطيعون إثبات التهمة  
-  
وقد استئذن أحد الولاة سيّدنا عمر بن عبد العزيز  
في تعذيب بعض المجرمين لاستنطاقهم  
فقال سيّدنا عمر عن هؤلاء المتّهمين  
لأن يلقوا الله بخياناتهم - خير لي من أن ألقي الله بدمائهم  
-  
فلو كنت أنت كضابط أو محقّق عجزت عن جمع الأدلّة  
فهذا تقصيرك أنت وليس المتّهم مسؤولا عنه  
-  
وبالمناسبة  
هذا المتّهم برئ إلي أن تثبت أنت جريمته  
يعني  
لا تتعامل علي اعتبار أنّه مجرم  
لم تستطع أنت إثبات الجريمة عليه  
-  
بل هو برئ لم تستطع أنت إثبات الجريمة عليه  
-  
نأتي للفقرة الخامسة  
قد تقول  
وقد يكون الضبّاط والمحقّقون قد أثبتوا التهمة فعلا  
فاقول لك  
"الأصل في المحاكمات أنّ تكون علنيّة"  
-  
والتهمة لا تثبت علي المتّهم إلا في محاكمة علنيّة  
يتاح له فيها فرصة الدفاع عن نفسه بالأصالة أو بالوكالة  
-  
يعني يدافع عن نفسه بنفسه  
أو يوكّل محاميا للدفاع عنه  
ومن يعجز عن توكيل محام  
فيجب أن تنتدب المحكمة له محاميا  
-  
فكما قلنا  
لا يعترف بغير المحاكمات العلنيّة  
فهل أذيعت المحاكمات علنا ؟!  
وهل عرضت الأدلّة التي تثبت التهمة علي المتهمين ؟!  
-  
أم أنّ الأمر كالعادة - اعترافات  
وأنتم تعرفون كيف تؤخذ الاعترافات  
-  
نأتي للفقرة الأخيرة وهي الأهمّ والأخطر  
وهي سؤال  
لماذا يعتبر البعض أنّ هؤلاء الشباب مجرمين ؟  
ولماذا ينكر البعض أنّ هؤلاء الشباب اعترفوا تحت التعذيب ؟  
-  
والإجابة هي  
هذا يسمّي في علم النفس بـ "ميكانيزمات الدفاع النفسي"  
-  
يعني  
أنت تريد أن تتهرّب من عقاب ضميرك لك  
لأنّك سكتت عن هذا الظلم  
فتنكر أنّ هناك ظلما قد وقع أساسا  
-  
وبهذا  
تتهرّب من تعذيب ضميرك لك  
فأنت أمام ضميرك لست ساكتا عن الحقّ  
بل أنت ساكت عن اللا شئ أساسا  
-  
فهؤلاء مجرمون أخذوا جزائهم وانتهينا  
وليسوا مظلومين وأنا ساكت عن ظلمهم  
-  
أمّا لو تعاملت علي اعتبار أنّهم أبرياء  
فسيستنهضك ضميرك للدفاع عنهم  
وأنت تريد أن ترتاح من صداع هذا الضمير  
-  
وحين يقاومك ضميرك  
فيقول لك أنّهم اعترفوا تحت التعذيب  
تنكر التعذيب أيضا  
-  
أنت تحاول تخدير ضميرك  
وهو ما يسمّي بميكانيزمات الدفاع النفسي  
-  
يعني عقلك يحاول الدفاع عن نفسه أمام ضميرك  
فانت لا تقوي علي مواجهة ضميرك  
فتقنعه بهذا الهراء  
ألا وهو أنّ هؤلاء الشباب اعترفوا بدون تعذيب  
-  
يعني أنت أمام خيارين  
إمّا أن تعتبرهم أبرياء وتدخل في عذابات ضميرك لك  
أو تعتبرهم مجرمين وتلقي هذا الموضوع برمّته وراء ظهرك  
فتختار أن تلقي الموضوع وراء ظهرك لتنجو من ضميرك  
ولكن  
هل سينفعك هذا الهراء أمام الله ؟!  
-  
أحد قادة هتلر حينما واجهوه بجرائمه بعد الحرب  
انتحر  
-  
فهل لم يكن هو مدركا لهذه الجرائم أثناء قيامه بها ؟!  
بالطبع هو كان مدركا لها  
لكنّه كان يمارس التخدير علي ضميره  
كان يمارس ميكانيزمات الدفاع النفسي  
-  
كان يقول  
هؤلاء الضحايا يستحقّون ما نفعله بهم  
-  
ويقول  
هذه القذارات التي نفعلها نتحمّلها مقابل نهضة ألمانيا العظمي  
-  
ويقول  
أنا مجبر علي تعذيب هؤلاء الضحايا  
فالذنب ليس ذنبي - بل هو ذنب هتلر  
-  
فلمّا انتهت الحرب وواجهوه بجرائمه  
لم يستطع عقله أن يمارس التخدير الآن  
فاستيقظ له ضميره النائم منذ سنين  
فقتله  
-  
هو لم ينتحر  
لم يقتل نفسه  
بل قتله ضميره الذي ظلّ مخدّرا لسنوات  
-  
وهو ما يعيشه الشعب الآن  
الشعب يخدّر ضميره  
رغم علمه التام بما يجري في السجون  
-  
ورغم أنّ هذا ليس سرّا  
فالصغير والكبير يعرف عن التعذيب  
وتذيعه المسلسلات عاما بعد عام  
-  
إلا أنّ شياطين الإنس من المخرجين والمؤلّفين   
يكرّرون قصّة واحدة  
ألا وهي أنّ هذا الشخص المعرّض للتعذيب  
مجرم بالفعل - وينكر جريمته  
وحين يعذّب يعترف  
-  
فتظلّ أنت تتألّم لألم الضحيّة أثناء التعذيب  
بينما في قرارة نفسك تعرف أنّه مجرم يحاول الإنكار  
يقتلون فطرة الشعب وضميره  
مكر الليل والنهار  
-  
حتّي إذا ما اعترف المتّهم تحت التعذيب  
ترسّخ في ذهنك  
أنّ التعذيب هو الوسيلة الوحيدة الناجعة لتحقيق العدل  
قال عدل قال !!!  
-  
هذا بعد أن تكون قد ترسّخ في قلبك  
أنّ الشخص المتعرّض للتعذيب  
ما هو في الحقيقة إلا مجرم يحاول الإنكار  
بهذه البساطة  
-  
يعني إنتا فاكر إنّ الرقابة بتذيع المشاهد دي  
بالعند في الشرطة يعني ؟!!!  
ولا الحكومة عارفه بالمشاهد دي وبتذيعها عادي ؟  
-  
ما سألتش نفسك ليه الشرطة ما بتستنكرش المشاهد دي  
أيّها المغفّل  
هم يقصدون إذاعة هذه المشاهد بهذه الحبكة  
حتّي تصبح أنت متيقّن من أنّ التعذيب حق  
وأنّ المنكرين هم في الحقيقة مجرمون  
-  
ده بجانب إنّك تتعلّم تمشي جوّا الحيط  
لإنّنا بنذيع عليك علني اللي بنعمله في اللي بيخرج من الحيط  
يعني هي عمليّة تخويف وتدجين علني للشعب  
وعلي عينك يا تاجر  
-  
فبتوصل لأنّك يقولوا لك إنّهم اعترفوا بدون تعذيب  
تضرب عقلك بالجزمة  
وتقنعه إنّه آه فعلا همّا اعترفوا بدون تعذيب  
-  
يا أخي ده لو همّا قتلوه فعلا مش هيعترفوا بدون تعذيب  
وإنتا عارف كده  
تقوم تقنع نفسك إنّهم اعترفوا بمزاجهم  
-  
ترجع فتقول  
يعني قد يكونوا قتلوه فعلا ويرفضون الاعتراف  
-  
أرجع وأقول  
هذه مهمّة الضبّاط والمحقّقين أن يثبتوا الجريمة  
فإن فشلوا في الإثبات  
فالأصل في هؤلاء الشباب انّهم أبرياء  
-  
قد يأخذك خيالك الآن  
إلي أنّهم بالفعل قتلة ويرفضون الاعتراف  
وهو خيال خاطئ  
بل هم أبرياء في الأصل  
فانت لا تعرفهم ولا يعرفونك  
فليس لك إلا أن تعاملهم علي الأصل فيهم  
ألا وهو أنّ الأصل في الإنسان البراءة  
-  
طيّب سؤال أخير  
هوّا وكيل النيابة والقاضي والمفتي مش عارفين كلّ ده  
أقول لك  
عارفين كلّ ده وأكتر منّه  
بسّ كلّ واحد وله طريقته اللي نخلّيه بيها يمضي وهوّا ساكت  
-  
لكن  
هل هذا يخفي علي الله ؟!  
أم هل تظنّ أنّ الله سيسمع لاعتذاراتهم الفارغة يوم القيامة ؟!  
-  
هل تظنّ أنّ الله سيسامح القاضي الذي حكم بالإعدام  
وهو يعرف أنّ المتّهمين أبرياء   
مهما ساق هذا القاضي من دفاعات واهية عن نفسه ؟!  
أمّا المفتي فله حساب آخر  
-  
بالمناسبة  
الإكراه لا يشمل القتل  
-  
يعني  
لو أكرهتك لتكفر بالله  
فيحقّ لك أن تكفر بالله  
بينما الإيمان في قلبك  
-  
لكن  
لو أكرهتك لتقتل إنسانا  
فلا يحقّ لك أن تقتله  
حتّي لو هدّدتك بأنّني سأقتلك إنّ لم تقتل الآخر  
وعليك أن تتقبل القتل لنفسك   
وتحتسب نفسك شهيدا  
-  
بل إنّه لو أصابك الطاعون وأنت في بلد  
فعليك أن تمكث في هذه البلد تنتظر الموت  
ولا تخرج منها لطلب العلاج من قرية مجاورة  
لأنّك ستنقل لسكّان القرية المجاورة العدوي وتقتلهم  
بل تجلس في مكانك تنتظر الموت في صمت  
وتحتسب نفسك شهيدا عند الله سبحانه وتعالي  
-  
بالطبع الآن الطبّ تقدّم  
وأصبح يمكن للمعالج حماية نفسه من العدوي  
-  
لكن قديما كان حكم الدين أن تجلس هكذا وتنتظر الموت  
بدلا من أن تنقل الموت لغيرك  
-  
فيأتي اليوم قاض أو مفت  
يقولان أنّهما مجبران علي إعدام الأبرياء ؟!  
ويظنّان أنّهما سينجوان أمام الله بهذا الدفاع الواهي ؟!  
بئس الظنّ بالله  
-  
إلي ديّان يوم الدين نمضي - وعند الله تجتمع الخصوم  
-  
إذا جار الأمير وحاجباه - وقاضي الأرض أفسد في القضاء  
فويل ثمّ ويل ثمّ ويل - لقاضي الأرض من قاضي السماء  
-  
وأختم بقوله تعالي  
لا تختصموا لديّ وقد قدّمت إليكم بالوعيد